

## مصادر فكر الأمير عبد القادر ومؤلفاته

## Sources of Emir Abdelkader's thought and his writings

بن خليف مالك<sup>1</sup>

جامعة باجي مختار عنابة

benkhelif.malek@yahoo.fr

أ.د. الزهرة لحج

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة

zlahlahe@yahoo.com

تاريخ الوصول 2021/04/07 القبول 2021/11/13 النشر على الخط 2022/04/15

Received 07/04/2021 Accepted 13/11/2021 Published online 15/04/2022

## ملخص:

تتناول هذه الدراسة المنابع والروافد التي استقى منها الأمير عبد القادر فكره والتي شكلت ثقافته ومنهجه الذي عرف القاصي والداني ملامحه في أرض الواقع من خلال الدور الريادي الذي اضطلع به في بناء دولة الجزائر الحديثة. وقد وجد من الغربيين من يقلل من المستوى العلمي للأمير وأن ثقافته تراثية محدودة بشعر الفروسية وبادية الصحراء وأنه كان يجهل العلوم والتاريخ ولكن القراءة الموضوعية الناقدة والمبصرة لكل ما خطه الأمير بيديه - نثرا وشعرا - تجعلنا نحكم بيقين بأن الكثيرين لم يطلعوا على ما كتبه الأمير في تأليفه من علم وفلسفة وتاريخ. وهذا ما سنتعرض لبيان في هذا المقال

**الكلمات المفتاحية:** الأمير عبد القادر، ثقافته، مصادر فكره، منهج التأليف، الإشكالية، الفلسفة.

**Abstract:**

This study deals with the sources and tributaries from which Emir Abdelkader drew his idea and which shaped his culture and approach, whose features from far and wide knew his features on the ground through the pioneering role he played in building the modern state of Algeria. He found among the Westerners those who reduce the scientific level of the Emir and that his heritage is limited With the poetry of equestrianism and the desert desert, and that he was ignorant of science and history, but an objective, critical and insightful reading of everything that the prince wrote with his hands - in prose and poetry - makes us judge with certainty that many have not seen what the prince wrote in his books of science, philosophy and history. This is.

**Keywords:** Emir Abdelkader, culture, sources of thought, method of authorship. Problematic .philosophy

## 1 . مقدمة

تتناول هذه الدراسة المنابع والروافد التي استقى منها الأمير عبد القادر فكره والتي شكلت ثقافته ومنهجته الذي عرف القاصي والداني ملامحه في أرض الواقع من خلال الدور الريادي الذي اطلع به في بناء دولة الجزائر الحديثة . وقد وجد من الغربيين من يقلل من المستوى العلمي للأمير وأن ثقافته تراثية محدودة بشعر الفروسية وبادية الصحراء حيث قال : " ترك الأمير عبد القادر أشعارا لا تخلو من الفائدة يشيد فيها بمفاخره الحربية ولكنه يفتخر كذلك بكونه مثقفا ورجلا على دراية بسيرة الرسول والنحو والفقه ولكن كان يجهل العلوم وحتى التاريخ . فإنه يحسن إيجاد الكلمات البليغة للتعبير عن الصداقة وشعر الصحراء... " <sup>(1)</sup> ولكن قراءة نقدية متبصرة لكتاب الأمير " ذكرى العاقل وتنبية الغافل " - على سبيل المثال - تجعلنا نتوجس ونتساءل هل اطلع هذا الكاتب على ما كتبه الأمير في هذا الكتاب من علم وفلسفة وتاريخ ؟ <sup>(2)</sup> . وكيف يمكن التسليم بإنكار ثقافة الأمير الذي كان حريصا في حياته كلها على الكتابة والتأليف وهو القائل : " ومن الناس من ينكر التأليف والتصنيف وكتابة العلوم في هذا الزمن وهذا الإنكار خطأ " <sup>(3)</sup> و هل يملك الأمير نسقا فلسفيا وثقافيا متميزا ؟ وهل له القدر الكافي من الكتابات التي تؤهله الى هذا الإقتدار ؟ ولبيان كل ذلك وجب رصد كل ما استطعنا مما خطته يدها مقتبسا أو مؤلفا .

## 2 . مصادر وروافد فكر الأمير عبد القادر :

إن الدارس لسيرة الأمير عبد القادر الذي تربى في رحاب زاوية أجداده - القيطنة - <sup>(4)</sup> يكتشف أن الرجل يملك زادا متنوع المعارف العقلية والنقلية ولذلك فلا غرابة في أن يكون القرآن الكريم وما يتبعه من علوم صحيح السنة وغيرها من كتب ورثة الأنبياء هي أولى مصادر فكره وعلمه و معارفه . ثم هو الى جانب ذلك له مطالعات في علوم أخرى خاصة في الفلسفة وتاريخ الملل الأخرى .

ويشهد على ذلك قول الأمير في معرض الحديث عن قوله تعالى : ﴿ قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ﴾ <sup>(5)</sup> فعرفت أنه لا نور يرغب فيه الراغبون مثل الاستقامة على الكتاب والسنة لأنه تعالى ضمن النجاة في العمل بها . " ويتابع قوله مبطلا كل مصدر آخر للعلوم أو التلقي حتى ولو كان كشفا صوفيا لا يتوافق مع نورهما " ... ما ضمنها - أي النجاة - في العمل في الكشف ولذا قال أستاذنا أبو الحسن الشاذلي : إنه يرد علي الوارد فلا أقبله إلا بشاهدين عدلين وهما الكتاب والسنة " أو كما قال : و إن طوق

(1) M.Emerit : L'algerie à Lépoque D'Abd el Kader, Ed .Larose , Paris, 1951.p 52

(2) - محمد الشريف ساحلي : الأمير عبد القادر فارس الإيمان ، ترجمة محمد يحياتن ، منشورات ANEP ، 2008 ، ص : 19 .

(3) - الأمير عبد القادر : ذكرى العاقل وتنبية الغافل ، تحقيق عمار طالي ، منشورات ANEP ، 2005م ، ص : 57 .

(4) - ويعود الفضل في مستقبل الأمير التعليمي الصوفي و السياسي إلى زاوية القيطنة - القادرية - التي بناها جده مصطفى بن محمد وقد شرع في بنائها سنة 1206هـ الموافق لـ 1791-1792م . وكانت هذه الزاوية قبلة للمريدين وطلبة العلم من مراكش وسوسة و شنقيط وبرقة والإسكندرية . بها مسجدا بناه أحد ولاة وهران وبه سبعة محالس للتدريس . مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تحقيق و تقديم يحي بو عزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع 2009م ، ص: 49 .

(5) - سورة المائدة الآية رقم 15 .

الشرعية لا يزول عن رتبة عارف ولا مكاشف مادام بدار التكليف " <sup>(1)</sup>. والطوق المقصود هو علوم الشرع المنزل التي تنبثق منها أحكام الإسلام وحدوده. ولقد تعلم في زاوية أبيه مبادئ القراءة و الكتابة مع حفظ القرآن الكريم وعلوم الشريعة في سن مبكرة <sup>(2)</sup>. ومما قاله في نص بيعته " إني لن أعمل بقانون غير قانون القرآن ، ولن يكون مرشدي غير تعليم القرآن ، والقرآن وحده ، فلو أن أخي الشقيق قد أحل دمه بمخالفة القرآن لنفذت فيه الحكم " <sup>(3)</sup>. ويتبين لنا مرة أخرى من قوله هذا أن الرافد الأساسي في علم الأمير هو القرآن الكريم الجامع لكل العلوم التي قعدت لها مع مرور الزمن القواعد والمصطلحات مثل علم الفقه وأصوله والعقيدة والقراءات والتفسير واللغة . ولكي نقف على سعة ومصادر ثقافة الأمير فإننا من الناحية المنهجية والموضوعية نرى من الضروري أن نذكر بعضاً من اقتباساته من كتب التراث التي طالتها يده والتي نعرض بعضاً منها في مايلي :

## 2-1 حول لإنزال الإلهي للموجودات . من الفتوحات المكية لابن عربي <sup>(4)</sup>:

قال الأمير في كتابه المواقف : " قال في باب كيمياء السعادة من الفتوحات - يقصد المكية لابن عربي - : قال تعالى ﴿ وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم ﴾ <sup>(5)</sup> من اسمه الحكيم ، فالحكمة سلطنة هذا الإنزال الإلهي وهو إخراج هذه الأشياء من الخزائن الى وجود أعيانها " <sup>(6)</sup> وهو بيان للقدرة الإلهية في خلق أصناف الموجودات.

## 2-2 في بيان اختلاف العلماء واستدراك الجيلي على ابن عربي :

وذلك في مسائل ثلاث : باب العلم وباب الإرادة وباب العلم : وأن من كلامهم ما يقبل ويرد - استدراك الجيلي على ابن عربي - : قال الأمير في المواقف أيضا : " فاعلم أن الإمام الكبير العارف بالله الكامل عبد الكريم الجيلي <sup>(7)</sup> انتقد في كتابه ( الإنسان

(1)- الأمير عبد القادر : كتاب المواقف في بعض إشارات القرآن الى الأسرار والمعارف ، تحقيق بكري علاء الدين ، ط 1 ، 2014م ، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا ، الموقف 20 ، ج 1 ، ص : 62 .

(2)- شارل هنري شرشل : حياة الأمير عبد القادر ، ترجمة و تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله ، طبعة خاصة ، دار الرائد ، دار المعرفة ، 2009م ، ص : 39 .

(3)- المرجع نفسه ، ص : 58 .

(4)- ابن عربي : هو أبو بكر محمد بن علي محي الدين الملقب بالشيخ الأكبر كاتب ومتصوف عربي إسلامي ولد في 17 رمضان 560هـ - 28 جويلية 1165م في مرسية بالأندلس ، وتوفي في 28 ربيع الثاني 638 هـ - 16 نوفمبر 1240م في دمشق . أصله من قبيلة طي العربية وكان مريدوه ينادونه بمحي الدين . درس في إشبيلية وقرطبة وارتحل الى المشرق العربي حج عدة حجات الأولى كانت سنة 1202م . كان كثير التأليف . من كتبه تفسير القرآن ، الفتوحات المكية يحوي 560 فصلا في العلوم الباطنية ، فصوص الحكم وهو دراسة روحية لوصايا الأنبياء . ترجم فضلان منهما للذان يتعلقان بالحكمة الإلهية في فصي آدم وشيت من طرف تيتوس بوكهارت سنة 1955م . رسالة القدس ترجمها الى الإسبانية آسين بلاسيوس كما أثبت ما لكتاب الإسراء لابن عربي من تأثير على الكوميديا الإلهية لدانتي . الرسالة الأحادية ترجمت الى الفرنسية من طرف عبد الهادي سنة 1933م . له ديوان شعري في الحب الصوفي بعنوان ترجمان الأشواق ترجم الى الإنجليزية بقلم أ. نيكلسون . تعرض ابن عربي لهجوم ضاري من طرف الفقهاء السنيون بسبب آرائه وخاصة نظرية وحدة الوجود التي فهمت على أنها مذهبا حلوليا محضا . دافع عنه الأمير عبد القادر ونفى عنه الكثير مما نسب إليه في كتابه المواقف . انظر في ترجمته ، جورج طرايشي : معجم الفلاسفة ، ط 3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2006 م ، ص : 32 .

(5)- سورة الحجر الآية رقم 21 .

(6)- الأمير : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مرجع سابق ، الموقف 346 ، ج 3 ، ص : 85 .

(7)- الجيلي : متصوف عربي ولد في بغداد سنة 766هـ - 1365م من أسرة جيلانية الأصل . عاش في اليمن وهاجر الى الهند . وكان من أتباع الطريقة القادرية القادرية . ترك حوالي عشرين مصنفاً من أضخمها الناموس الأعظم ولكنه عرف أكثر بكتابه " الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر " . وفيه يبدو تأثيره واضحا

الإنسان الكامل ) على الشيخ محي الدين الحاتمي ثلاث مسائل : أحدها في باب العلم ، وثانيها في باب الإرادة والإختيار و ثالثها في باب القدرة . ولا أدري كيف أحتجب وجه هذه المسائل الثلاث عن الإمام الجيلي ومن أين جاءت هذه الغفلة ؟ وسرى إليه هذا السهو . وما ذلك إلا لينفرد الحق تعالى بالكمال المطلق . ورضي الله عن الإمام مالك بن أنس حيث قال وهو تجاه القبر الشريف : ما منا إلا ورْدٌ و رُدٌّ عليه إلا صاحب هذا القبر - ص - وروي عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي أنه قال : إني ألفت هذه الكتب وبذلت جهدي في تصحيحها وتنقيحها ، ولا بد أن يوجد فيها اختلاف . فإن الله يقول ﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾<sup>(1)</sup>

## 2-3 ينتصر لشيخه ابن عربي والجيلي في فناء النار :

يستعمل الأمير بعض قواعد منهج علم مصطلح الحديث ويحتج بأقوال ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ويقول " ... قال شرف الدين المناوي : قال الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية : إنه جاء في بعض الآثار ما يدل على خلاص الكلّ آخرا ، وإن النار تغنى ويزول عذابها . نقل ذلك عن ابن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وأخرج عبد بن حميد - هكذا وردت في كتاب المواقف - بإسنادين رجالهما ثقة : " لو لبث أهل النار في النار كعدد رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه . " وتداوله أئمة غير مقابلين له بالإنكار ، قال أعني ابن تيمية : وإنما أرادوا جنس أهل النار الذين هم أهلها أما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علموهم أنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريبا منه . ولفظ أهل يختص بمن عدا المؤمنين كما تشير إليه عدة أحاديث ولا يناقضه ﴿ خالدين فيها ﴾ و﴿ وما هم منها بمخرجين ﴾<sup>(2)</sup> بل ما أخبر به الحق هو الحق الذي لا يقع خلافه . ولكن إذا انقضى أجلها وفنيت كما تغنى الدنيا لم تبق نار فلم يبق عذاب . وورد في عدة طرق عن ابن عمر رضي الله عنهما " ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد " وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا . وجاء نحوه عن ابن مسعود وأخرج عبد بن حميد عن الثقة " جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا (...) " ثم يقول الأمير ناقدا و متسائلا : فأين الإجماع ؟ فما ظن الإجماع إلا من جهل الخلاف والنزاع . وقد ذكر ابن القيم هذه الأحاديث وصحح طرقها ورد طعن الطاعن فيها وهو من أئمة الحنابلة مشهور بالعلم والدين . " <sup>(3)</sup> .

## 2-4 - ينقل عن الجويني اختلاف العلماء في التأويل أو التفويض في فهم النصوص :

وفي مجال العقائد وعلم الكلام يقول : قال إمام الحرمين رضي الله عنه " اختلفت مسالك العلماء في هذه الظواهر فرأى بعضهم تأويلها والترم ذلك في أي من الكتاب وما صح من السنن ، وذهب أئمة من السلف إلى الإنكشاف عن التأويل وتفويض معانيها إلى الله عز وجل . والذي أرتضيه رأيا وأدين لله به عقيدة اتباع الأمة للدليل القاطع على أن إجماع الأمة حجة ، فلو كان

بمذهب ابن عربي في وحدة الوجود . التي يصبح فيها الإنسان الكامل مرآة تنعكس فيها القوى الإلهية والطبيعية ومن خلاله يضحي المطلق واعيا بذاته . توفي على الأرجح سنة 805هـ - 1403 م . انظر ، جورج طرايشي : معجم الفلاسفة ، ط3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2006 م ، ص : 32 . ص : 266 .

(1) - أما الآية فهي من سورة النساء رقم 82 ، وأما قول الأمير انضر المرجع نفسه ، الموقف 346 ، ص 67 . (الموقف 346 يمتد من ص 67 الى ص 87 .

(2) - الآيتان ، الأولى : البقرة 162 و الثانية : الحجر 48 .

(3) - الأمير عبد القادر : المواقف ، تحقيق بكري علاء الدين ، مرجع سابق ، الموقف 205 ، ج 1 ، ص : 381 .

تأويل هذه الظواهر حتما لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة . وإذا انصرم عصر الصحابة والتابعين على الإضراب عن التأويل ، كان ذلك هو الوجه المتبع <sup>(1)</sup>. وقد ثبت أن الأمير عبد القادر أتم تدريس كتاب أم البراهين في علم التوحيد للسنوسي في حفل مشهود سنة 1838م ، مما يفيدنا تطلعه في علم الكلام و اهتمامه بالعلم وهو في معمة الحروب.

## 2-5 - في تاريخ فلاسفة اليونان والفرس :

يقول الأمير عن فلاسفة اليونان : " ومن الحكماء اليونان المشهورون مثل أرسطو وهو معلم الإسكندر وكان مسكنه أثينا وهو كبير حكماء الخليقة من غير منازع . أخذ الحكمة عن أفلاطون اليونان . كان يعلم الحكمة وهو ماش تحت الرواق المظلل له من حر الشمس ، فسمي تلاميذه بالمشائين وأخذ أفلاطون عن سقراط وكان يعرف بسقراط الدن بسكنائه في دن من الطين اتخذته . وقتله قومه لما نهاهم عن عبادة الأوثان . وكان هو أخذ الحكمة عن فيثاغورس منهم ويقال أن فيثاغورس أخذ عن تاليس حكيم ملطية وأخذ تاليس عن لقمان الحكيم المشهور . ومن حكماء اليونان دي مقراطيس و انكساغورس . وأرسطو هو الذي ترجم كتب هرمس وأخرجها من اللسان المصري الى اليوناني وشرح مافيها من العلوم والحكمة (...) ومنهم بندقليس وكان في عمر داوود النبي وكان علماء اليونان يسمون فلاسفة إلهيين ومعنى فلا بلغتهم الحب وشوف العلم فمعنى فيلسوف محب العلم ... " <sup>(2)</sup>

وعن تاريخ أمة الفرس يقول : " ... وكان الفرس في أول أمرهم موحددين على عهد نوح الى زمن طهمورث وهو أول من دّل الخيول وركبها ، فاعتقد دين الصابئين وقهر الفرس على إتباعه . وبقوا على هذا الدين نحو ألف سنة إلى أن تمجسوا بسبب زرادشت (...) وجاء زرادشت بكتاب ادعاه وحيا كتبه في اثني عشر ألف جلد وسمى ذلك الكتاب سناه ويدور على ستين حرفا من حروف المعجم وفسره زرادشت وسمى تفسيره زند ثم فسر التفسير وسماه رفده وهذه اللفظة هي التي عربتها العرب . وكان زرادشت يقول بإلهين اثنين يزدان وأهرمن ( أي النور والظلمة ) ويعبد النار . وكان هذا الكتاب ثلاثة أقسام ، قسم في أخبار الأمم الماضية وقسم في حدثان المستقبل وقسم في نواميسهم وشرائعهم . وجد زرادشت بيوت النيران وكان أخذها منوشهر أحد ملوكهم . ورتب لهم عيدين النيروز في الاعتدال الربيعي والمهرجان في الاعتدال الخريفي . ولما غلب الإسكندر الفرس الأولى أحرق هذه الكتب . وبقوا على ذلك أيام سابور بن يزدشير فظهر ماني الحكيم بعد المسيح وكان ماني يقول موجد العالم اثنان النور خالق الخير والظلمة خالق الشر واتبعه سابور قليلا ثم رجع الى المجوسية دين آبائه . وفي أيام قباد أحد ملوك الفرس ظهر مزدك وكان يقول باستباحة أموال الناس وأنها مشتركة بينهم <sup>(3)</sup> وليس لواحد ملك شيء " <sup>(4)</sup> .

(1) - انظر اقتباس قول الإمام مالك والجبيني المرجع نفسه ، ص 43 و 44 .

(2) - الأمير عبد القادر : ، رسالة الى الفرنسيين ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، مرجع سابق ، ص : 64.

(3) - وللشيخ عبد اللطيف سلطاني من علماء الجزائر كتاب بعنوان " المزدكية هي أصل الإشتراكية " وقد ألفه في العقود الأخيرة من القرن الماضي وقد جر عليه أتعابا كثيرة مع النافذين في الحكم يومها من أصحاب التوجه الإشتراكي الشيوعي .

(4) - الأمير عبد القادر : ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، مرجع سابق ، ص : 63 .

ويتبين لنا من كل هذا علم الأمير وإحاطته بأديان الملل والنحل وهو اليوم اختصاص قائم بذاته في الجامعات يسمى علم مقارنة الأديان وليس بعيدا أن يكون كتاب الإمام الشهرستاني<sup>(1)</sup> هو مرجع الأمير في هذا العلم .

## 2-6 - في فقه السياسة الشرعية والملاحم :

يكتب الأمير أيام جهاده للعدو الفرنسي رسالة الى قاضي فاس عبد الهادي العلوي يستفتيه عن بعض قبائل الساحل دخلت في طاعة المارشال بيجو<sup>(2)</sup> وقد ضمّن رسالته جملة من الأسئلة فيها إشارات كثيرة في فقه الملاحم والجهاد جاء فيها : " ماهو حكم الله في من والى الكافر باختياره ويقا تل معه ؟ و يصرف له مرتب وإن أظهر شجاعة قُِّلْد علامة في صدره تسمى لاتور عليها صورة ملك فرنسا . هل هم مرتدون ؟ إن قتلتم بردتهم ، هل يستتابون أم لا ؟ ما حكم نسائهم ؟ وهل يستتابون أو يقتلن أو يسترققن كما نقل عن ابن الماحشون . ما حكم ذراريهم ؟ هل لنا سبيهم أم لا ؟ وهل ما حكاه ابن بطال من الإجماع على أن المرتد لاتسبي ذريته منقوض بما نقل عن ابن وهب وعن جمهور الشافعية أن المرتد كالكافر الأصلي . وهل يسوغ لنا العمل بما ينقل عن أصحاب مالك رضي الله عنه من الأقدمين كابن وهب وأمثاله في طبقته ؟ مما لم يشهره المتأخرون ؟ ونترك لكل ذي عقل حصيف يستنتج من هذه الأسئلة مدى سعة إطلاع الأمير على المراجع الفقهية وامتلاكه لمنهج التحليل والمقارنة بين النصوص وهذا ما سنلاحظه أيضا في مؤلفاته التي سنتعرض إليها في ما يلي :

## 3- مؤلفاته :

لقد كان الأمير رجل حرب و قد تولى في مستهل حياته مسؤولية تأسيس دولة في ظروف الكر والفر وأفنى ساعات عمره في تربية وتعليم رعيته في الجزائر. ثم كانت محنة السجن في فرنسا ثم اشتغاله بالتدريس في بلاد الشام ومع ذلك فقد جادت قريحته بتأليف في النثر والشعر بما يتناسب مع هذه الظروف .ولكن من المهم في هذا الصدد أن نعلم أن الموجود من مؤلفاته التي بين أيدينا اليوم هي قليل من كثير ما زال مفقودا ومجهولا . وهذه الحقيقة هي التي أشار إليها أبو القاسم سعد الله في قوله : " و سطر بقلمه الصفحات الفكرية والوقائع التاريخية . وقد عرف بعض ما سطر حتى الآن من هذه وتلك ، ولكن الأغلب منها جميعا ما

(1) - الشهرستاني : ولد في شهرستان ( خراسان ) ومات فيها سنة 548هـ - 1153م . متكلم ومؤرخ للأديان . درس في نيسابور وبغداد . اتبع مذاهب الأشعرين الفلسفية واللاهوتية . من مؤلفاته كتابه الملل والنحل وفيه يطلعنا على البدع الإسلامية وأهم الحركات الدينية الإسلامية وغير الإسلامية مثل المانوية ويتميز بقدر كبير من الإستطلاع النظري والتاريخي ومن أهم مصنفاته أيضا "نهاية الإقدام في علم الكلام " . انظر ، جورج طرابيشي ، مرجع سابق ، ص : 403.

(2) - توماس روجير بوجو دولا بيكونري ( thomas Bugeaud de la piconnerie ) جنرال ثم مارشال فرنسي ولد في ليموج عام 1748م ومات في باريس 1849م ، موطن الإستعمار الفرنسي في الجزائر عندما أرسل إليها في عام 1836 م ، وحارب الأمير بلا هوادة في الثلاثينيات الميلادية في إقليم وهران ووقع معه معاهدة التافنة ، ثم أصبح من دعاة القضاء عليه واتباع سياسة الأرض المحروقة في الجزائر عُيِّن في عام 1840 م حاكما عاما للجزائر . وله كتابان : حرب إفريقيا 1839م ، تأملات و ذكريات عسكرية 1845م . استقال و عاد إلى فرنسا ، ودارت بينه وبين الأمير عبد القادر مراسلات عندما كان هذا الأخير أسيرا في فرنسا . راجع كتاب بحوث في التاريخ العربي والإسلامي ، للدكتور أبو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1 ، 1424هـ - 2003م ، ص : 323-324.

يزال في طي الكتمان محفوظا في وثائق الدول والأفراد. فإذا أخذنا الجانب الفكري فقط فإننا سنجد أن ما نشر له حتى الآن هو قليل من كثير...

وسنقتصر في ما يلي على نماذج من مؤلفاته مبرزين منهجه في التأليف الذي حرص فيه الأمير على بيان المناسبة و الإشكالية والمنهج في كل ما يكتب .

### 3-1 : وشاح الكتائب<sup>(1)</sup> وزينة الجيش المحمدي الغالب :

#### 3-1-1 : مناسبة التأليف :

وسبب تأليف هذه الرسالة هو رغبة الأمير في تكوين جيش نظامي احترافي لكي يجابه به الجيش الفرنسي حيث وضع له نظاما داخليا جمع مواده في كتاب عنوانه " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب " سنة (1249هـ-1833م)<sup>(2)</sup>

#### 3-1-2 - المضمون والمنهج :

ويشتمل الكتاب على مقدمة وأربع وعشرون قانونا وخاتمة . ويحوي أفكارا وتوجيهات فيها دلالة على نضج الممارسة السياسية عند الأمير في الجانب الحربي حيث تناول بالتفصيل ذكر الرتب العسكرية والمكافآت والمخالفات وما يقابل كل نوع منها من العقوبات والمسؤولية والرخص والأكل واللباس والتعليم والتدريب والمرض والتعويض . وقد أشار أبو القاسم سعد الله أن الذي صاغ وحرر الرسالة هو كاتب الأمير " قدور بن رويلة "<sup>(3)</sup> ولكن واضع مادتها هو الأمير نفسه.<sup>(4)</sup> ويشهد له أيضا قول الأمير محمد : " وضع للجد النظامي قوانين وضوابط جمعها بعض كتاب الجند في رسالة سماها " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب "<sup>(5)</sup> . ولأهمية هذا الكتاب ترجمه الفرنسيون مرات عديدة منها ما قام به روسيتي " Rosettly " في كانون 1848م وطبعه الجنرال ماري تحت عنوان " قوانين الأمير عبد القادر الى جيشه النظامي " ثم ترجمة مجلة الشرق التي نشرته على حلقتين<sup>(6)</sup> وكان آخرها ما قام به عبد الكريم الجزائري في سبتمبر 1968م<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> - عنوان هذه الرسالة عند الأمير محمد هو " وشاح الكتائب وزينة العسكر المحمدي الغالب " انظر الأمير محمد: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر ، المطبعة التجارية ، غرزوي و جاويش ، الإسكندرية ، 1903 م ، ج 1 ، ص : : 120.

<sup>(2)</sup> - فؤاد صالح السيد ، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا ، د.ط ، الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985م ، ص : 93.

<sup>(3)</sup> - قدور بن رويلة : بعد احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر فر الى جيش الأمير بمليانة حيث عمل كاتبا ومادحا للأمير . وبعد معركة طاكين سنة 1843م أسره الفرنسيون ثم نفوه الى المشرق . فرحل الى المدينة المنورة . ثم عاود الإتصال بالأمير. وأقام معه في بروسة وفي طريقهما الى دمشق أدركته المنية ببيروت ودفن بمقبرة السنطية في شهر ربيع الثاني سنة 1272هـ- 1855م . انظر كل من : الأمير محمد ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 64 . و مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تحقيق و تقديم و تعليق يحي بو عزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع 2009م ، ص : 153 .

<sup>(4)</sup> - شارل هنري تشرشل ، مرجع سابق ، ص : 29.

<sup>(5)</sup> - الأمير محمد : مرجع سابق ، ج 1 ، ص : 191-192 .

<sup>(6)</sup> - مجلة الشرق ، سنة 1844م ، الحلقة الأولى ص 255-234 ، والثانية ص 341-355 . نقلا عن أبي القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ، ج 4 ، ص : 201 وما بعدها.

<sup>(7)</sup> - قدور بن رويلة : وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويلي ديوان العسكر المحمدي للملياني ، تحقيق محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م.

## 3-2 : كتاب المقرض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من أهل الباطل والإلحاد .

## 3-2-1- المناسبة :

وسبب تأليف هذا الكتاب أنه في مدة إقامة الأمير بسجن أمبواز "Amboise"<sup>(1)</sup> تكلم أحد كبار رجال الدين المسيحي واتهم الإسلام واصفا إياه بأنه لا ينهي على الغدر وعدم الوفاء وحمل الخبر الى الأمير ناصح أمين ملحا عليه أن يرد علميا على هذه الفرية فاعتذر الأمير أولا ثم أعيد عليه الطلب في زمن تولي لويس نابليون رئاسة جمهورية فرنسا . فاستجاب الأمير وشرع في كتابة رسالة المقرض الحاد .<sup>(2)</sup>

## 3-2-2- الإشكالية والمنهج :

جاء في تحفة الزائر<sup>(3)</sup> تنصيب الأمير على اشكالية مؤلفه المتمثلة في بيان حكم الإسلام في الغدر والوفاء ثم أشار الى أن منهج التأليف يقتضي بيان حكم الله أولا في القرآن ثم أقوال رسوله الخاتم صلى الله عليه وسلم فاقتضى المقام الحديث عن إثبات الألوهية ثم النبوة .

## 3-2-3- فصول رسالة المقرض الحاد :

عدد صفحات الكتاب مئتان وأربعة وخمسين صفحة (254) . حسب الطبعة التي نشرتها مكتبة دار الحياة ببيروت وكانت من تحرير محمد بن عبد الله الخالدي.<sup>(4)</sup> وتتكون من مقدمة وثلاثة أبواب أما المقدمة فقد خصصها للحديث عن العقل وما يتعلق به . و في الباب الأول تناول إثبات الألوهية ويحوي فصولا ثلاثة أولها في خلق الأرض وما يتولد منها والثاني في خلق السماوات وما فيها من بديع الحكم والثالث في خلق الإنسان الذي هو المقصود بالإيجاد . أما الباب الثاني ففيه إثبات النبوة وفيه فصلان أولهما في إثبات الرسالة على الإطلاق والثاني في إثبات رسالة النبي الخاتم . وخصص الباب الثالث لموضوع الرسالة وهو الحديث عن حكم الشرع الإسلامي في وجوب الوفاء والأمر به وترك الغدر والنهي عنه.<sup>(5)</sup>

(1) - مدينة امبواز تابعة لمقاطعة أورليان الفرنسية وسجنها عبارة عن سراية كانت تابعة لأحد الملوك ، وهي حصينة وعالية الأسوار تقع في وسط بسائط يشقها نهر عظيم فيه مراكب شراعية . انظر، الأمير محمد : ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 12 وما بعدها . وتقع أورليان، في قلب وادي لوار ويمكن الوصول إليها بسهولة من باريس، حيث تبعد عن باريس 130 كم . باتجاه الجنوب الغربي . تعتبر أورليان مدينة جامعية ومركز للأسقفية مع كاتدرائية . و هي معروفة بكونها مدينة جان دارك، بطله حرب المائة عام بين الفرنسيين والإنجليز ، و التي انتهت برفع الحصار المفروض على المدينة عام 1429 م انظر شبكة الأنترنت ، موقع العرب اليوم ، <https://www.arabstoday.net> وكذلك موقع كل العرب <http://www.alarab.com/Article/710758> تاريخ الدخول 2018/07/06 .

(2) - الأمير محمد : مرجع سابق ، ج 2 ، ص : 27 .

(3) - المرجع نفسه ، ص : 27 .

(4) - عبد الرزاق بن سبع : الأمير عبد القادر وأدبه ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2006 ، ص : 204 .

(5) - الأمير محمد : مرجع سابق ، الجزء 2 ، ص : 28 .

وقد كان الأمير بعيد النظر في الترتيب المنهجي لهذه الرسالة حيث بدأ بالعقل لأن إثبات كل شيء بعده -مثل إثبات الألوهية- يقتضيه ، ولا يمكن إثبات النبوة دون المرور على مبحث الألوهية . وبيان احكام الشريعة مرتب على الإيمان بالرسالة .

### 3-2-4- نموذج من كتابة الأمير الفلسفية في المقراض الحاد :

#### أ- دفع شبهة عن شعيرة الجهاد في الإسلام.

يكتب الأمير في الباب الثالث من هذه الرسالة فقرة فيها منافحة عن رسول الإسلام بطريقة فلسفية عقلية فيقول : "... فكيف يظن ظان أو يتوهم متوهم فيمن خلقه الله مطبوعا على كل خلق تستحسنه العقول السليمة أن يكون فيما شرعه نقص تنكره العقول الكاملة ولا تسلمه الأراء الفاضلة فهو رحمة أرسلها الله للعباد ولدا قال عليه الصلاة والسلام انما أنا رحمة مهداة الى الخلق وقال تعالى يخاطبه " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين " فهو رحمة لمن دخل في دينه ولمن لم يدخل فيه . فإن قلت هذا ينافي ما في شرع الإسلام من الجهاد والقتال فإنه ليس بحسن في وصفه ولا رحمة ظاهرة فيه لأنه تعذيب لعباد الله وتخريب لبلاده وليس ذلك بحسن قلنا انما صار حسنا بواسطة دفع الضرر عن الإسلام وقمع إداية المحاربين لأن الله تعالى قضى بإرادته وبما سبق في علمه أن تكون أمة الإسلام أكثر من الأمم المخالفة لها حتى تكون نسبة كل أمة اليها نسبة الجزء الى الكل والعقل حاكم من غير تردد بأن رعاية الأكثر مقدمة على رعاية الأقل وبأن حرمة الواحد ليس كحرمة الجماعة فالنفوس الهالكة بالقتال لقلتها ساقطة من الاعتبار فكأنها بالنسبة للنفوس الناجية شر قليل واقع بجنب خير كثير ولا يليق بالصانع الحكيم ترك خير كثير لشر قليل " (1)

#### ب -حاجة العقل الإنساني للوحي :

يبين الأمير بأن العقل هو الجسر الموصل الى الإيمان وبدونه لن يهتدي الى إثبات رسالات الأنبياء ولكن العقل نفسه يبقى قاصرا على معرفة مكنونات الغيب وما ينفع الإنسان في أمر دينه وآخرته يقول الأمير : " فالعقل لا يهتدي الى الأفعال المنجية في الآخرة إلا بواسطة الرسل كما لا يهتدي الى الادوية للصحة إلا بواسطة الأطباء فحاجة الخلق للرسل كحاجتهم الى الأطباء " (2).

#### ج- الروح الإنساني غيب مطلق :

" الروح التي شغلت التفكير الإنساني ولم يهتد إلى فهم حقيقتها وكنهها وما هيته لأنها من غيبات الله ، والعقل عاجز عن إدراكها يقول تعالى : ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي و ما أوتيتم من العلم إلا قليلا.﴾ (3)

### 3-3 ذكرى العاقل وتنبيه الغافل :

#### 3-3-1 سبب تأليفه:

وسبب تأليف هذا الكتاب أن الأمير اختير مراسلاً لمجمع الخالدين في باريس؛ فكتب نص هذا الكتاب إليهم. وإلى هذا أشار المؤلف في المقدمة حيث قال: "أما بعد، فإنه بلغني: أن علماء باريز - وفقهم العليم الحكيم العزيز - كتبوا اسمي في دفتر العلماء

(1) - المرجع نفسه ، ص : 29 وما بعدها.

(2) - الأمير عبد القادر الجزائري : المقراض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإحاد ، تحرير عبد الله الخالدي المغربي ، د ط ، دت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . ص : 107.

(3) - سورة الإسراء : الآية رقم : 84.

ونظموني في سلك العظماء، فاهتزت لذلك فرحاً ثم اغتممت ترحاً. فرحت من حيث ستر الله عليّ، حتى نظر عباده بحسن الظنّ إليّ، واهتممت من كون العلماء استسمنوا ذا ورم، ونفخوا في غير ذي ضرم. ثم أشار عليّ بعض المحبين منهم بإرسال بعض الرسائل إليهم. فكتبت هذه العجالة للتشبه بالعلماء الأعلام، ورميت سهمي بين السهام، وسمّيت هذه الرسالة "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل".<sup>(1)</sup> وقد كتب الكتاب سنة 1855م أيام اقامته في الشام -سوريا- على نسختين إحداها بالعربية والأخرى بالفرنسية بقلم ترجمان القنصلية الفرنسية بدمشق.<sup>(2)</sup> ويذكر أ أبو القاسم سعد الله أن كل مؤلفات الأمير قد نشرت بعد وفاته إلا رسالة ذكرى العاقل. ولكن قوله: "وهناك ملاحظة أخرى وهي أن كل ما ألف الأمير قد كتب أثناء سجنه بفرنسا، خلال أربع سنوات 1854-1848م، ما عدا المواقف وديوان شعره..". غير مسلم به على الإطلاق لأن بعض المصادر تذكر خلافه<sup>(3)</sup>

### 3-2- الموضوع والإشكالية :

يعالج الأمير عبد القادر الجزائري في هذا الكتاب كما هو مشار إليه في مضمون عنوانه مسألة دور العقل وأنه سبب في المفاضلة بين الناس بالتفكير وعدم التقليد، منبهاً على فضل العلم والعلماء، مقررّاً أن العقل هو سبب إدراك العلوم، وتميز العقل عن المدركات الأخرى، وأن العلم الذي يقود إليه العقل منه ما هو مذموم وما هو ممدوح، وأن العقل مهما ترقى، فإنه لا يستطيع إدراك الغيبات إذ لا بد له فيها من الإهتداء بوحى لبيائها، فعمل على إثبات النبوة وما يتعلق بها، وأن تثبيت العلوم بالكتابة ساعد على تنميتها لأن عقل الإنسان غير قادر على الإحاطة بجميع الأمور.

### 3-3- مباحث هذه الرسالة:

تتضمن رسالة ذكرى العاقل مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة، أما المقدمة ففي الحث على النظر ودم التقليد. وتناول الباب الثاني فضل العلم وفضل سببه وهو العقل والقوى الإنسان الأربع التي بها يبلغ كماله وكذلك المفاضلة بين مدركات العقل على مدركات الحواس وخاتمة في بيان العلم المحمود والمذموم وخصص الباب الثاني الى بيان ضرورة العلم الشرعي الذي يرتبط بمبحث إثبات النبوة وخاتمة في المكذبين بالأنبياء. أما الباب الثالث فقد تعرض فيه إلى فضل الكتابة وبيان كتابات الأمم وواضعيها ومنها حروف اللغة العربية وحاجة الناس الى التصنيف وختم الرسالة بذكر اقسام الناس في العلوم والمعارف والمذاهب.<sup>(4)</sup>

### 3-4 نماذج من كتاباته في ذكرى العاقل :

وسيتبين لنا من بعض ما كتب الأمير في هذه الرسالة غزارة فكره التاريخي والشرعي والفلسفي وهذه بعض الأمثلة على ذلك :

(1) - عبد القادر الجزائري : ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، بتحقيق وتقديم د. ممدوح حقي، بيروت 1966.

(2) - : أحمد درويش : في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري ، طبعة مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م ، ص: 195.

(3) - الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ومحمود سماتي ومحمد الصالح ألقون ، ط 4 ، 2004 م ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، انظر التصدير بقلم أبو القاسم سعد الله ، ص : 7.

(4) - الأمير عبد القادر : رسالة الى الفرنسيين ، ذكرى العاقل وتنبيه الغافل : تحقيق الأستاذ عمار طالبي ، مرجع سابق ، ص : 10.

## أ - قيس من فلسفة العلوم

يتحدث الأمير في رسالة المقرض الحاد عن دراسة مبادئ بعض العلوم وفرضياتها ونتائجها دراسة نقدية وهو ما يسمى في المدرسة الإنجليزية بالإبستمولوجيا أو نظرية المعرفة بينما تحصر المدرسة الفرنسية الإبستمولوجيا في فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي<sup>(1)</sup>

## ب - في ضرورة التصنيف :

يقول الأمير : " من الناس من ينكر التأليف والتصنيف ، وهذا الإنكار خطأ ، إذ لا وجه لإنكار التصنيف إذا صدر من العلماء الكاملين البالغين مرتبة التصنيف ، وإنما يحمل هذا المنكر على إنكاره التنافس والحسد الجاري بين كل متعاصرين. "(2) ولا يخفى ما في هذه العبارات من الإشارة الى ما يجب أن يتوفر من شروط علمية وأكاديمية وأخلاقية يلتزم بها المؤلفون والمصنفون (3).

## ج- في فضل الكتابة :

يقول الأمير : "...فما جمعت العلوم ، ولا قيدت الحكمة ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة إلا بالكتابة ولولا الكتابة ما استقام للناس دين ولادنيا . فالكتابة عين العيون بها يبصر الشاهد الغائب ."(4)

## د- الهواء والنطق والحروف والكتابة :

يتناول الأمير بأسلوب علمي في فقرة واحدة الحديث عن كيفية نشوء الأصوات في مجاري الإنسان الهوائية التي يسميها علماء الصوتيات والتجويد " مخارج الحروف ". كما تضمنت الفقرة شيئاً من علم الطب وإن كان السياق الأصلي هو بيان أن الكتابة فرع عن النطق . يقول الأمير : " والكتابة وإن عظمت منفعتها ، فهي مفرعة عن النطق . ولكن قد يوجد في الفرع ما لا يوجد في الأصل . فيكون في الفرع ما في الأصل وزيادة وبيانه أن بدن الإنسان لا يتم إلا بالقلب الذي هو معدن الحرارة الطبيعية . ولا بدء من وصول النسيم البارد إليه ساعة بعد ساعة حتى يبقى على اعتدال ولا يحترق . فخلقت الآلات في بدنه ، بحيث يقدر الإنسان بها على إدخال النسيم البارد في قلبه ، فإذا مكث ذلك النسيم لحظة تسخن وفسد فلزم إخراجه . فالصانع الحكيم جعل النفس الخارج سبباً لحدوث الصوت . ثم إن الصوت سهل تقطيعه في المحابس مختلفة ، فحصلت هيئات مخصوصة بسبب تقطيع ذلك الصوت في تلك المحابس . وتلك الهيئات المخصوصة هي الحروف ... "(5).

(1) - جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع بيروت ، لبنان ، 1994م ، ج 1 ص : 33.

(2) - الأمير عبد القادر ، ذكرى العاقل ، تحقيق عمار طالي ، مرجع سابق ، ص : 57.

(3) - لقد أسهب الأمير في ذكر جملة من آداب التصنيف والتأليف في هذه الرسالة . انظر المرجع نفسه ، صفحة 57 وما بعدها . من ذلك قوله : "... والتصنيف على سبعة أقسام لا يصنف عالم إلا فيها وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص فيتمه ، أو شيء مغلق يشرحه ويبينه أو شيء طويل يختصره دون أن ينقص شيئاً من معانيه أو شيء متفرق يجمعه أو شيء مختلط يرتبه أو شيء أخطأ فيه مؤلفه فيصلحه ."

(4) - المرجع نفسه ، ص : 49.

(5) - الأمير عبد القادر : ذكرى العاقل ، تحقيق عمار طالي ، مرجع سابق ، ص : 50.

## هـ-العقل بين الحقيقة والجهل :

ينتصر الأمير في هذا الكتاب للعقل الذي هو ركن الفلسفة فيقول : " فإن معيار الحقيقة هو العقل ، لا سيما وأن لدى البشر استعداداً لإدراك الحقائق. فإذا كان الأمر كذلك فكيف ينشأ الجهل إذا؟  
عن هذا السؤال يجيب الأمير، مبرزاً أسباباً خمسة لنشأة الجهل:

1- نقصان في ذات القلب، كقلب الصبي. ولكلمة "القلب" هنا دلالة عقلية من حيث هو مكان المعرفة.

2 - كُذُورات الأشغال الدنيوية والخبث الذي يتراكم على وجه القلب منها.

3 -العدول بالقلب عن جهة الحقيقة المطلوبة.

4-الحجاب: والحجاب هو أن يكون العقل محجوباً باعتقاد مسبق، نشأ وقت الصبا أو عن طريق التقليد. وهذا، كما يقول الأمير، حجاب عظيم حجب أكثر الخلق عن الوصول إلى الحق، لأنهم محجوبون باعتقادات تقليدية رسخت في نفوسهم وجمدت عليها قلوبهم.

5- الجهل بالجهة التي يقع فيها العثور على المطلوب.

## 3-4- مذكرات الأمير :

وهي مزيج من التحرير والإملاء من شخص الأمير وتولى كتابتها الفقيه مصطفى بن التهامي<sup>(1)</sup>. ولقد صرح أبو القاسم سعد الله أن " النموذج كان بموافقة الأمير وتحت نظره ".<sup>(2)</sup> والدليل على ذلك قول ابن التهامي : " فلما قرأ مولانا أيده الله مكتوبه واستوعب معانيه كلها . كلفني - أعلى الله مقامه وأعاد علينا وعليه عوائد بره بصالح الحال والمآل - بأن أجمع ذلك بحسب ما طلب كاتب المکتوب ، فأجبت به الموافقة واثقا بإعانة المالك وسالكاً صحة المسالك ومرتبجياً الصالح الديني بحول الله وقوته " <sup>(3)</sup>

## 3-4-1- سبب تأليفها :

وقد أفصح الأمير في مقدمة هذه المذكرات عن الباعث عن كتابتها فقال : "...وبعد فإن بعض أساقفة النصارى طلب كتاباً مضمناً تاريخ ما جرى بيننا بالقطر الجزائري من مصالح ومكافحة ببيان سبب كل واحد من الأمرين... " <sup>(4)</sup> ويتبن لنا مرة أخرى ثقافة الحوار والاتصال التي كان يتمتع بها الأمير التي كانت الباعث الأساس في معظم تأليفه.

## 3-4-2- تاريخ ومكان كتابتها :

لا يوجد بالتحديد في المذكرات ما يشير إلى زمن ومكان تأليف هذه المذكرات . ولكن مجموعة من المحققين<sup>(5)</sup> يرجحون أن الأمير شرع في كتابتها في سجنه بقلعة بو "PEAU" وذلك سنة 1848م.<sup>(1)</sup> ويذكر أن اكتشاف المخطوط الأصلي لهذه

(1) - رفيق درب الأمير وصهره وخليفته على معسكر ، سبق التعريف به راجع المبحث الأول من هذا الفصل ، ص : 3.

(2) - الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تقديم عبد المجيد أمزيان ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط 3 ، 1998 م ، ص :

(3) - المرجع نفسه ، ص : 53.

(4) - المرجع نفسه ، ص : 33.

(5) - وهم : محمد الصغير بناني ، محفوظ سماتي ، محمد الصالح الجون ، محمد الهادي حساني ، عبد المجيد بيرم .

المذكرات يعود الى سنة 1967م وذلك كما يذكر وزير المجاهدين - يومها - بوعلام بن حمودة أن أحد أفراد عائلة السيد جاك شوفالييه كان قد عثر بالصدفة على المخطوط في قبو منزل العائلة وهو يبحث عن حطب للتدفئة ولما تأكد رب العائلة من أهميته التاريخية سلمه لوزير المجاهدين الذي سلمه بدوره الى مدير المكتبة الوطنية في حفل رسمي<sup>(2)</sup>.

### 3-4-3- فصول ومباحث مذكرات الأمير :

تتكون الخطة المنهجية لمذكرات الأمير من مقدمة وسبعة فصول وخاتمة. ويلاحظ على محتواها التنوع والتداخل بحيث لا نجد فيها التواصل في تناول الموضوع الواحد بحيث موزعة على المباحث الآتية :

#### أ- المقدمة :

اشتملت المقدمة على ذكر الأسباب والدوافع الشرعية والمنهجية التي دفعته لكتابة هذه المذكرات .

#### ب- الفصل الأول :<sup>(3)</sup>

فيه بيان نسب الأمير عبد القادر ، ونشأته وتعليمه وذكر شيوخه الذين أخذ منهم العلم و الإشادة بمذهبه الفقهي المالكي<sup>(4)</sup>.

#### ج- الفصل الثاني :

وفيه بين الأمير اتصال نسبه بنسب آل البيت النبوي وبيان شرف هذا الأخير " فنسبه -ص- أفضل الأنسابوسببه أفضل الأسباب ، وبيته في قريش أوسط بيوته المراماة وأعرق معدنها الكريمة (...). فسؤدد البطحاء عليهم مقصور والعيون إليهم أيا سلكوا أمور "<sup>(5)</sup> وفي نفس السياق بين شرف العرب الذين ينحدر منهم النبي - ص - واستشهد بأحاديث نبوية : " فمن أحب العرب فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم " و " لا يبغض العرب إلا منافق "<sup>(6)</sup> وقد ضعف بعض أهل العلم هذه الأحاديث إلا أن قبول متنها وارد عند البعض الآخر.<sup>(7)</sup> وغير مستبعد أن يكون الأمير على دراية بذلك وإلا لما استشهد بهذه الأحاديث في مذكراته.

(1) - الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، ص : 22.

(2) - الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، هامش ص : 9.

(3) - قد أذكر محتوى كل فصل بصورة مختصرة وإن توسعت فسأكتفي بذكر مقتطف يسير عن بعض ماورد على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

(4) - المرجع نفسه ، ص 42.

(5) - المرجع نفسه ، ص : 79.

(6) - المرجع نفسه ، ص : 67.

(7) - وحديث " لا يبغض العرب إلا منافق " أنظر ، أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، رقم الحديث 614 ، 1421 هـ - 2001 م ، ج 2 ، ص 51 . وقد ضعف ابن باز معظم الأحاديث الواردة في فضل العرب في رسالة له بعنوان : (نقد القومية على ضوء الإسلام والواقع) وقال " بعضها ليس بصحيح بالكلية " وبين أن الأصل في المفاضلة بين الأقوام هو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ سورة الحجرات الآية رقم 13. انظر موقع ابن باز على الرابط <https://binbaz.org.sa/old/109624> تاريخ الدخول : 2018/07/14. ومع ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " وجهور العلماء على أن جنس العرب خير من غيرهم كقريش خير من غيرهم وحنس بني هاشم خير من غيرهم . وقد ثبت في الصحيح عنه

## د- الفصل الثالث :

لقد تناول الأمير في هذا الفصل موضوع النبوة والرسالة من حيث الإثبات وماهي أحكامها وشروطها والفرق بين النبوة والرسالة. وخصوصية كل رسول مثل هود وصالح ولوط وداود وغيرهم عليهم السلام وبيان حكمة معجزة كل واحد منهم . ولقد اعتمد الأمير في كل ذلك على آيات من القرآن الكريم وشروح كثير من العلماء مثل السيوطي وابن حجر والهيثمي . علما أن الأمير قد تعرض لمعاني موجودة في كتابيه ذكرى العاقل والمقراض الحاد.

## هـ- الفصل الرابع :

وقد كان موضوعه الحديث عن بعض المواطنين رحلته مع أبيه الى الحجاز لأداء فريضة الحج و بلاؤه في جهاده وبناء دولته وأقصى ما بذله في سبيل الدفاع عن دينه وأمته من حروب ومعاهدات وما لقيه من محن وسجن جراء ذلك.<sup>(1)</sup>

## و- الفصل الخامس :

فيه بيان ما كانت عليه العرب من حسن الطباع والأخلاق مثل الكرم والوفاء والشجاعة وبراعة الكلام من شجع وحكم وأمثال ونظم وشعر وقصة هبوط آدم وبنائه للكعبة (2) وتحديد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بناء الكعبة (3) وغزو ابرهة لمكة وقصة الفيل ص 234. وقصة سيف بن ذي يزن وتحرير اليمن وتبشير ه لعبد المطلب بمولد الرسول ص 241 وما بعدها. وفضل قريش وغير ذلك من المسائل .

## ز- الفصل السادس :

ويتجسد في هذا الفصل خلق من أخلاق الأمير العالية في التسامح والتواصل الإنساني حيث يتحدث عن نسب الروم القيصرية وما امتازوا به من خصال حميدة مثل مودتهم للمؤمنين وحفظهم للعهود وثناء القرآن عليهم في ذلك حينما نصرخوا المسيح عليه السلام لما قال لهم ﴿ من أنصاري إلى الله . قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون ﴾<sup>(4)</sup> وقوله ﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا . ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ﴾<sup>(5)</sup>. قال الأمير " وهذه - الآية - شاملة لجميع أفراد الجنس . نزلت هذه الآية في النجاشي . بعث إليه رسول الله - ص - بكتابه فقرأه . " كما يبسط الأمير الحديث في ما جاء في الإنجيل من تحبيب المسلمين للنصارى . كما يذكر فضل المسيح وأمه مريم العذراء و يشيد بمهرقل ملك الروم. كما ذكر لهم جملة من أخلاق حميدة رآها في من عاصروهم في

صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: { النَّاسُ مَعَادُنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا } . لكن تفضيل الجملة على الجملة لا يستلزم أن يكون كل فرد أفضل من كل فرد ، فإن في غير العرب خلقا كثيرا خيرا من العرب . " انظر ، ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمان محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1416هـ - 1995م ، ج 19، ص: 29.

(1) - الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير ، مرجع سابق ، ط 4 ، 2004م ، ص : 44.

(2) - المرجع نفسه ، ص : 211.

(3) - المرجع نفسه ، ص : 218

(4) - سورة آل عمران ، الآية رقم 52.

(5) - سورة المائدة ، الآية رقم 82.

الجزائر وفي سجنه بفرنسا. <sup>(1)</sup> وقد سبقت الإشارة الى ذلك في بعض أبيات من قصيدتين كتبهما في فترة سجنه بمدينة طولون "Toulon" <sup>(2)</sup> وقد ذكرهما في آخر الفصل الرابع من هذه المذكرات ، ومما جاء في الأولى:- البيت الأول ثم الرابع -

أطولون أغمرتنا بالبسط والنعم أنلتنا كرما بالفضل منفعم  
سهلت سهلا فجرت أهلا في سمة بأوجه لحسان الوجه في شيم <sup>(3)</sup>  
وفي الثانية يذكر ما لقيه من حفاوة وإحسان في مدن آش و طارب و بو. <sup>(4)</sup>  
مجاوزين قصر آش و طارب فأحرق أهلها في زي ناظر  
وكلهم على الإشفاق لبوا وأعلن بالتودد لا مكابر  
ثم يقول أيضا بعد بيتين :

ولاح لنا به كتاب سهل من الجمهور متضح البشائر  
ويرمز بالصراحة لاقترب من التسريح والإله قادر  
فكم أبدت لنا من حسن جود مدينة " بو " ونعم ما تظاهر <sup>(5)</sup>  
ح- الفصل السابع :

وقد تضمن مباحث في الأنثروبولوجيا من خلال بيان أصل الجنس البشري وفروعه والعلاقة بين نسب العرب والروم ومثل بالنبي شعيب العربي ومصاهرتة لنبي الله موسى الإسرائيلي و النبي ص - وهو عربي بمارية القبطية وذكر قصة ياجوج وماجوج وذو القرنين والنبي سليمان وملكه وقصة النمرود مع نبي الله ابراهيم وبخت نصر البابلي وأصحاب الأخدود كما ذكر ما اختص به كل جنس من آداب وعلوم وأقوال وحكم وتجارب . <sup>(6)</sup>

ط - الخاتمة : وقد ذكر فيها الشهور القمرية عند العرب وسبب تسمية الأربعة الحرم والتي هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم وهي المتواليات والرابع رجب الفرد . كما ذكر أسماء الشهور عند العجم وعند الروم وتعريف الوقت والفرق بينه وبين الزمان وحديث عن

(1) - الأمير : المذكرات ص 283.

(2) - طولون : (بالفرنسية: Toulon) هي مدينة فرنسية وهي عبارة ميناء بحري في الجنوب الشرقي من الساحل الفرنسي. يبلغ عدد سكانها 170,167 نسمة ويبلغ مجموع عدد سكان حاضرتها 437,553 نسمة. وتتميز بأرصفتها المراسي الممتازة التي يمكنها استقبال السفن الضخمة. وتقع في مدينة طولون ثانية أكبر القواعد البحرية الفرنسية، أما القاعدة البحرية الفرنسية الأولى فتقع في مدينة برست. ومدينة طولون العاصمة الإقليمية لهذه المنطقة. ومن أهم المعالم السياحية في هذه المدينة سوق السمك الذي يعود إلى القرن السادس عشر الميلادي. وأهم الصناعات الموجودة فيها صناعة بناء السفن، وإنتاج الكيماويات والآلات الكهربائية. انظر موقع المعرفة <https://www.marefa.org>. تاريخ الدخول 2020/05/29م.

(3) - المرجع نفسه ، ص : 206 وما بعدها

(4) - مدينة آش " AUCH " توجد على نهر الجير 680 كم غرب باريس. و طارب " Tarbes " على بعد 771 كم جنوب غرب باريس. ومدينة بو " Pau " توجد على نهر تبعد ب 751 كم جنوب غرب باريس، وهو المعتقل الثاني الذي نقل إليه الأمير بعد طولون. انظر مذكرات الأمير مرجع سابق ، ص : 209 في الهامش .

(5) - المرجع نفسه ، ص : 209.

(6) - الأمير عبد القادر : المذكرات مرجع سابق ، ص : 297 وما بعدها.

الشمس وشيء من علم الفلك كما تحدث على نقباء بني إسرائيل الإثنا عشر وأصل أصنام نوح عليه السلام وأصحاب الكهف واسماء بعض أفراد أسر الأنبياء وأولوا العزم منهم . والحديث عن الساعة والدجال.<sup>(1)</sup>

### 3-4-4 نماذج من كتابات الأمير في مذكراته :

#### أ- في فضل علم الفرنسيين وعلم المنطق :

قال الأمير : "...وبهذا تعلم أن هذا الجنس الفرنسي فاق على جميع الأجناس الرومية والنصرانية بكونه يستعمل الفائدة وينقلها أينما وجدها ولا يقول هذه ليست لغتي أو ليست عادة بلدي أو وطني ، فكأنهم سمعوا قول نبينا صلى الله عليه وسلم للمؤمنين : " الحكمة ضالة المؤمن يطلبها حيث يجدها . " <sup>(2)</sup> وقال المغيلي <sup>(3)</sup> في الرد على السيوطي حين قال بتحريم المنطق لأنه إنما ابتدعه كافر يشير إلى أفلاطون

ودع عقلا أبداه كفور وذمه رجال وإن أثبت صحة نقله  
خذ العلم حتى من كفور ولا تقم دليلا على شخص بمذهب مثله.<sup>(4)</sup>

#### ب - من علم الفلك وفيه تعريف للوقت :

يقول الأمير : ".... والوقت أخص من الزمان الذي هو حركة الفلك على أفقنا . فالنهار فوقه أو تحته . فقليل عند الحكماء وعند المتكلمين مقارنة متجدد موهوم لتجدد معلوم إزالة للإبهام من الأول لمقارنة الثاني . والوقت عندهم أخص من الزمان لأنه الجلي المقارن للخفي . فطلوع الشمس للمعلوم وقت مجيء زيد المجهول . والعكس.<sup>(5)</sup>

#### ج - تعريف الشمس وبعض الأشكال الهندسية :

يقول الأمير : ".... وفي عرف أرباب النجامة كون الشمس ونظيرها بدائرة أفق معين أو بدرجة علم مقرر بعدها منه . فالشمس كوكب ناري معلوم والدائرة سطح مستوي محيط به خط واحد في داخله نقطة ، كل الخطوط الخارجة منها الى المحيطة

(1) - المرجع نفسه من ص 309 الى ص 316.

(2) - الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة ، ط 3 ، كتاب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ، حديث رقم 2687 بلفظ " الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها " وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر ، 1395هـ - 1975م ، ج 5 ، ص : 51.

(3) - المغيلي : محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت 909هـ) . من قبيلة مغيلة البربرية ، نشأ بتلمسان - الجزائر - فقيه . مفسر . متكلم . وقع نزاع بينه وبين الإمام السيوطي في علم المنطق . ناوأ اليهود وقتلهم في توات بجنوب الجزائر . صاحب رحلة تعليم وجهاد في بلاد التكرور والسودان . توفي بتوات . له عدة تأليف منها : " البدر المنير في علوم التفسير " و " مصباح الأرواح في أصول الفلاح " و " شرح الجمل في المنطق " عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، 1400هـ - 1980م ، ص : 308 .

(4) - المذكرات ، مرجع سابق ، ص : 198.

(5) - المرجع نفسه ص : 312.

متساوية . فالنقطة مركزها وهي ما لاجزاء له والخط متركب منها . والسطح ما تركب من الخط وله طول وعرض والجسم متركب منه له طول وسمك . والأفق الدائرة التي هي آخر ما يدركه البصر من بسيط الأرض ، الفاصلة بين ظاهرا الفلك وخفيه . " (1)

### خاتمة:

يتبين لنا من خلال ما بسطناه في هذه المقالة الجواب على إشكاليته الأساسية المتمثلة في إبطال الرأي الذي يزعم أن الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة لا يملك من العلم والثقافة القدر الذي يتساقق ويرقى الى مرتبته الحربية والسياسية . ومن غير الممكن أن يعد في مصاف العلماء والمؤلفين الأكاديميين . ولكن الحقيقة كما يقال هي وليدة البحث والتقصي . وقد أبرزنا في ثنايا مقالنا المستوى العلمي المتميز للأمير من خلال عرض نماذج من اقتباساته في كتب التراث الشرعية والتاريخية والفلسفية والعرفانية والتي ضمنها أسلوبه التحليلي والنقدي . كما استعرضنا مختصرا وصفيا لبعض مؤلفاته وقفنا فيها على منهج وإشكالية وبعضها من مضمون كل صنف من مصنفاته التي خطها بيمينه . وقد ركزنا في كل ما كتبنا على إبراز رصيد الأمير في العلوم الشرعية والتاريخية والفلسفية وأنه خليف أن يرتب في مصاف المؤلفين والعلماء والنقاد . وأملنا كبير في أن تستمر جهود الباحثين في الكشف عن تراث الأمير عبد القادر الجزائري وتقديم دراسات نقدية حول كتاباته الكثيرة والمتنوعة .

### 4- المصادر والمراجع :

- 1- القرآن الكريم برواية ورش
- 2- ابن تيمية ، مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمان محمد بن قاسم ، نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية ، 1416هـ - 1995م ،
- 3- أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1998م ،
- 4- أبو القاسم سعد الله : بحوث في التاريخ العربي والإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1424هـ - 2003م
- 5- أحمد بن محمد بن حنبل : المسند ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، عادل مرشد ، وآخرون ، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، الناشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1421هـ - 2001م
- 6- أحمد درويش : في صحبة الأميرين أبي فراس الحمداني وعبد القادر الجزائري ، طبعة مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ، 2000م
- 7- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تقديم عبد المجيد أمزيان ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط3 ، 1998م

(1) - المرجع نفسه ، ص : 312.

- 8- الأمير عبد القادر : مذكرات الأمير عبد القادر ، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماتي ومحمد الصالح أبلون ، ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ، انظر التصدير بقلم أبو القاسم سعد الله ، ط 4 ، 2004 م
- 9- الأمير عبد القادر الجزائري : المقرض الحاد لقطع لسان منتقص دين الإسلام بالباطل والإلحاد ، تحرير عبد الله الخالدي المغربي ، د ط ، دت ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت . ص : 107.
- 10- الترمذي : سنن الترمذي ، تحقيق وتعليق أحمد محمد شاكر و محمد فؤاد عبد الباقي و إبراهيم عطوة ط 3 ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر 1395 هـ - 1975 م .
- 11- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب طباعة ونشر وتوزيع بيروت ، لبنان ، 1994 م ، ج 1 .
- 12- جورج طرابيشي : معجم الفلاسفة ، ط 3 ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، 2006 م
- 13- عبد الرزاق بن سيع : الأمير عبد القادر وأدبه ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري
- 14- عبد القادر الجزائري : ذكرى العاقل وتنبيه الغافل ، بتحقيق وتقديم د. ممدوح حقي ، بيروت 1966.
- 15- قدور بن رويلة : وشاح الكتائب وزينة الجيش الحمدي الغالب و يليه ديوان العسكر الحمدي للملياني ، تحقيق - محمد بن عبد الكريم ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1968 م.
- 16- محمد الشريف ساحلي : الأمير عبد القادر فارس الإيمان ، ترجمة محمد يحياتن ، منشورات ANEP ، 2008.
- 17- مصطفى بن التهامي : سيرة الأمير عبد القادر وجهاده ، تحقيق و تقديم و تعليق يحي بو عزيز ، دار البصائر للنشر و التوزيع 2009.
- 18- عادل نويهض : معجم أعلام الجزائر ، ط 2 ، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر ، 1400 هـ - 1980 المراجع باللغة الأجنبية
- M.Emerit : L'algerie à L'époque D'Abd el Kader, Ed .Larose Paris, 1951
- شبكة الأنترنت :
- 20- ابن باز ، <https://binbaz.org.sa/old/109624> ، تاريخ الدخول : 2018/07/14.
- 21- العرب اليوم ، <https://www.arabstoday.net> ، تاريخ الدخول 2018/07/06.
- 22- المعرفة ، <https://www.marefa.org> ، تاريخ الدخول 2020/05/29.